

(وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوهُ إِلَّا يُكْفِّرَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنصُودٍ (٨٢) مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣) . [هود : ٧٧ - ٨٣] .

(وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) أي : ولما جاءت ملائكتنا لوطاً ساءه مجيئهم واغتمم لذلك؛ وذلك لأنه لم يكن يعلم أنهم رسل الله، فخاف عليهم من قومه، وقال: هذا يوم بلاء وشدة. وهؤلاء الملائكة الذين كانوا عند إبراهيم وكانوا على صورة غلمان مرد حسان الوجوه .

● قال الشنقيطي : ذَكَرَ اللَّهُ حَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّ لُوطًا عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيَّتَا الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، لَمَّا جَاءَتْهُ رُسُلُ رَبِّهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَصَلَتْ لَهُ بِسَبَبِ مجيئهم مَسَاءَةٌ عَظِيمَةٌ ضَاقَ صَدْرُهُ بِهَا، وَأَشَارَ فِي مَوَاضِعٍ مُتَعَدِّدَةٍ إِلَى أَنَّ سَبَبَ مَسَاءَتِهِ وَكَوْنِهِ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا، وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ: أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُمْ ضُيُوفٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، كَمَا ظَنَّهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَظَنَّ أَنَّ قَوْمَهُ يَنْتَهِكُونَ حُرْمَةَ ضُيُوفِهِ فَيَفْعَلُونَ بِهِمْ فَاحِشَةَ اللِّوَاطِ ؛ لِأَنَّهُمْ إِنْ عَلِمُوا بِقُدُومِ ضَيْفٍ فَرَحُوا وَاسْتَبَشَرُوا بِهِ لِيَفْعَلُوا بِهِ الْفَاحِشَةَ الْمَذْكُورَةَ .

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ هُنَا (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِي فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) . وَقَوْلُهُ فِي «الْحَجْرِ» (وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبَشِرُونَ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) .

● قال ابن عاشور : قوله تعالى (هذا يوم عصيب) قاله في نفسه كما يناجي المرء نفسه إذا اشتد عليه أمر . والعصيب : الشديد فيما لا يرضي .

يقال : يوم عصيب إذا حدث فيه أمر عظيم من أحوال الناس أو أحوال الجوّ كشدة البرد وشدة الحرّ .

(وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) أي : وجاء قوم لوط يسرعون المشي إليه لطلب الفاحشة .

● قَوْلُهُ: يُهْرَعُونَ ، أَي: يُسْرِعُونَ وَيُهْرَعُونَ مِنْ فَرَحِهِمْ بِذَلِكَ .

كما قال تعالى في آية أخرى (وجاء أهل المدينة يستبشرون) .

● قال ابن عاشور : وقد طوى القرآن ذكر الغرض الذي جاؤوا لأجله مع الإشارة إليه بقوله (ومن قبل كانوا يعملون السيئات) فقد صارت لهم دأباً لا يسعون إلا لأجله .

(وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ) أي : كانوا من قبل مجيئهم يأتون الرجال شهوة دون النساء .

وقد ذكر الله تعالى أن قوم لوط كانوا أول من ارتكب هذه الفعلة القبيحة .

قال تعالى (ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين (٨٠) إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مُسرِفُونَ) .

وقد كانوا يتجاهرون بها :

قال تعالى في سورة النمل (وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ).

وقال تعالى في سورة العنكبوت (وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أَتَيْنَكُم لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ...).

● قال ابن عاشور: وجلة (وأنتم تبصرون) حال زيادة في التشنيع، أي تفعلون ذلك علناً يبصر بعضكم بعضاً، فإن التجاهر بالمعصية معصية لأنه يدل على استحسانها وذلك استخفاف بالنواهي.

(قَالَ) لهم لوط .

(يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) اختلف العلماء في المراد بقول لوط عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام (هؤلاءِ بناتي) على أقوال :

أحدها: أنه أراد المدافعة عن ضيفه فقط، ولم يرد إفضاء ما قال .

وبهذا قال عكرمة، وأبو عبيدة.

الثاني: أن المراد بناته لصلبه .

وأن المعنى: دعوا فاحشة اللواط وأزواجكم بناتي، وعلى هذا فتزويج الكافر المسلمة كان جائزاً في شرعه، كما كانت بنات نبينا صلى الله عليه وسلم تحت الكفار في أول الإسلام كما هو معروف .

القول الثالث: أن المراد بالبنات: جميع نساء قومه .

لأن نبي القوم أب ديني لهم .

كما يدل له قوله تعالى في نبينا ﷺ (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) وفي قراءة أبي بن كعب: «وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم» وزوي نحوها عن ابن عباس، وبهذا القول قال كثير من العلماء.

قال تعالى عنه أنه قال لهم (أتأتون الذكوان من العالمين). وتذرون ما خلق لكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون).

● قال ابن كثير: أي: إنك تعلم أن نساءنا لا أرب لنا فيهن ولا نشتهيهن (وإنك لتعلم ما نريد) أي: ليس لنا غرض إلا في الذكور، وأنت تعلم ذلك، فأى حاجة في تكرار القول علينا في ذلك؟

● قال الخازن: وهذا القول هو الصحيح وأشبه بالصواب إن شاء الله تعالى والدليل عليه: أن بنات لوط كانتا اثنتين وليستا بكافيتين للجماعة، وليس من المروءة أن يعرض الرجل بناته على أعدائه ليزوجهن إياهم فكيف يليق ذلك بمنصب الأنبياء أن يعرضوا بناتهم على الكفار.

● وقال الرازي: وهذا القول عندي هو المختار، ويدل عليه وجوه :

الأول: أن إقدام الإنسان على عرض بناته على الأوباش والفجار أمر متباعد لا يليق بأهل المروءة فكيف بأكابر الأنبياء؟
الثاني: وهو أنه قال (هؤلاءِ بناتي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) فبناته اللواتي من صلبه لا تكفي للجمع العظيم.

● وقال ابن عاشور: وقد زوي أنه لم يكن له إلا ابنتان، فالظاهر أن إطلاق البنات هنا من قبيل التشبيه البليغ، أي هؤلاءِ نساؤهن كبناتي، وأراد نساءً من قومه بعدد القوم الذين جاءوا يهرعون إليه.

وهذا معنى ما فسر به مجاهد، وابن جبير، وقتادة، وهو المناسب لجعلهن لقومه إذ قال (هنّ أطهر لكم) فإن قومه الذين حضروا عنده كثيرون، فيكون المعنى: هؤلاءِ النساء فتزويجهنّ.

(هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) أي : أنزه وأنقى .

(فَاتَّقُوا اللَّهَ) أي : اجعلوا بينكم وبين الله الوقاية بامتنال أوامره واجتناب نواهيه ، بأن توحده ولا تعبدوا غيره ، وتطيعوه فلا تركبوا ما نهى عنه من المعاصي ، وبخاصة تلك الفاحشة القبيحة .

(وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي) أي : لا تُهَيِّنُونِ وَلَا تُدْلُونِ بِأَنْتِهَائِكَ حُرْمَةَ ضَيْفِي .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: قَوْلُهُ (وَلَا تُخْزُونِ) مِنَ الْخِزْيَةِ، وَهِيَ الْخِجَالُ وَالْإِسْتِحْيَاءُ مِنَ الْفَضِيحَةِ، أَي لَا تَفْعَلُوا بِضَيْفِي مَا يَكُونُ سَبَبًا فِي خِجَلِي وَأَسْتِحْيَائِي .

(أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ) أليس منكم رجل ذو رشد، ينهى من أراد ركوب الفاحشة، فيحول بينهم وبينها، فإهانة الضيف مسبة لا يفعلها إلا أهل السفاهة .

● قال ابن عاشور : قوله : (منكم) بمعنى بعضكم أنكر عليهم تملؤهم على الباطل وانعدام رجل رشيد من بينهم ، وهذا إغراء لهم على التعقل ليظهر فيهم من يتفطن إلى فساد ما هم فيه فينهاهم ، فإنَّ ظهور الرشيد في الفئة الضالة يفتح باب الرشاد لهم ، وبالعكس تملؤهم على الباطل يزيدهم ضراوة به .

(قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) أي : قال قوم لوط له: لقد علمت من قبل أنه ليس لنا في النساء من حاجة أو رغبة، وإنك لتعلم ما نريد، أي لا نريد إلا الرجال ولا رغبة لنا في نكاح النساء .

(قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) أي : قال لهم حين أبوا إلا فعل الفاحشة: لو أن لي بكم قوة وأنصارًا معي، أو أركن إلى عشيرة تمنعني منكم، لحلثت بينكم وبين ما تريدون .

● قال النووي : قول النبي ﷺ (وَيَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ)

فَالْمُرَادُ بِالرُّكْنِ الشَّدِيدِ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ الْأَرْكَانِ وَأَقْوَاهَا وَأَمْنَعُهَا وَمَعْنَى الْحَدِيثِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ : أَنَّ لُوطًا ﷺ لَمَّا خَافَ عَلَى أَضْيَافِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَشِيرَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنَ الظَّالِمِينَ ضَاقَ دَرْعُهُ وَاشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَيْهِمْ ، فَغَلَبَ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَقَالَ فِي ذَلِكَ الْحَالِ : " لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ " فِي الدَّفْعِ بِنَفْسِي " أَوْ آوِي " إِلَى عَشِيرَةٍ تَمْنَعُ لَمَنْعَتِكُمْ وَقَصْدُ لُوطٍ ﷺ إِظْهَارَ الْعُذْرِ عِنْدَ أَضْيَافِهِ ، وَأَنَّهُ لَوْ اسْتَطَاعَ دَفْعَ الْمَكْرُوهِ عَنْهُمْ بِطَرِيقٍ مَا لَفَعَلَهُ وَأَنَّهُ بَدَّلَ وَسْعَهُ فِي إِكْرَامِهِمْ وَالْمُدَافَعَةَ عَنْهُمْ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إِغْرَاضًا مِنْهُ ﷺ عَنِ الْإِعْتِمَادِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِنَّمَا كَانَ لِمَا دَكَرْنَاهُ مِنْ تَطْيِيبِ قُلُوبِ الْأَضْيَافِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَسَبِي الْإِلْتِجَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي جَمَاعَتِهِمْ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اِلْتِجَاءً فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَظْهَرَ لِلأَضْيَافِ التَّأَمُّ وَضِيقَ الصَّدْرِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ) أي : قالت الملائكة: يا لوط إننا رسل ربك أرسلنا لإهلاك قومك، وإنهم لن يصلوا إليك .

● وَبَيَّنَّ فِي الْقَمَرِ أَنَّهُ تَعَالَى طَمَسَ أَعْيُنَهُمْ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ) .

(فَأَسْرٍ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ) أي : فاحرج من هذه القرية أنت وأهلك ببقية من الليل، ولا يلتفت منكم أحد وراءه؛ لتلا يرى العذاب فيصيبه .

● القطع الطائفة من الليل .

● وَلَمْ يَبَيِّنْ هُنَا هَلْ هُوَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، أَوْ وَسْطِهِ أَوْ أَوَّلِهِ، وَلَكِنَّهُ بَيَّنَّ فِي «الْقَمَرِ» أَنَّ ذَلِكَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ وَقَتِ السَّحْرِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ (إِلَّا آلَ لُوطٍ بَحَيْنَانَهُمْ بِسَحْرِ) .

وَلَمْ يَبَيِّنْ هُنَا أَنَّهُ أَمَرَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ وَرَائِهِمْ وَهُمْ أَمَامَهُ، وَلَكِنَّهُ بَيَّنَّ ذَلِكَ فِي «الْحَجْرِ» بِقَوْلِهِ (فَأَسْرٍ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبَعَ أَذْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ) .

● قوله (بأهلك) يفهم منه أنه لم يؤمن به إلا أهله .

(إِلَّا أَمْرَاتِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ) قَرَأَهُ جُمُهُورُ الْقُرَآءِ إِلَّا أَمْرَاتِكَ، بِالنَّصْبِ، وَعَلَيْهِ فَلَا مَرَّ وَاضِحٌ ؛ لِأَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مِنَ الْأَهْلِ، أَيْ أَسْرٍ بِأَهْلِكَ إِلَّا أَمْرَاتِكَ فَلَا تُسْرٍ بِهَا، وَأَتْرَكَهَا فِي قَوْمِهَا فَإِنَّهَا هَالِكَةٌ مَعَهُمْ.

وَيَدُلُّ لِهَذَا الْوَجْهِ قَوْلُهُ فِيهَا فِي مَوَاضِعَ (كَانَتْ مِنَ الْعَابِرِينَ) ، وَالْعَابِرُ: الْبَاقِي، أَيْ مِنَ الْبَاقِينَ فِي الْهَلَاكِ.

ويحتمل أن يكون من قوله (وَلَا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتِكَ) أي: فإنها ستلتفت فيصيبها ما أصابهم.

● قال ابن كثير: والأظهر أنها لم تخرج من البلد، ولا أعلمها لوط، بل بقيت معهم.

(إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) أي : إن موعد هلاكهم الصبح، وهو موعد قريب الحلول.

يذكر أن لوطاً عندما وعده الملائكة بهلاك قومه بقولهم (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ) استعجل نزول العذاب ، فقال لهم : الآن الآن ،

فقالوا له : أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ .

ذَكَرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّ مَوْعِدَ إِهْلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ وَقْتُ الصُّبْحِ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَكَذَلِكَ قَالَ فِي «الْحَجْرِ» فِي قَوْلِهِ: (

وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هُوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ) وَزَادَ فِي «الْحَجْرِ» أَنَّ صَبِيحَةَ الْعَذَابِ وَقَعَتْ عَلَيْهِمْ وَقْتُ الْإِشْرَاقِ،

وَهُوَ وَقْتُ طُلُوعِ الشَّمْسِ بِقَوْلِهِ (فَأَخَذْتَهُمْ صَبِيحَةً مُشْرِقِينَ) .

(فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنصُودٍ (٨٢) مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ) هذه كيفية هلاك

قوم لوط :

رفع الله قراهم فجعل عاليها سافلها، ثم أمطر عليهم حجارة من سجيل منضود.

قال تعالى (فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ).

وقال تعالى (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنصُودٍ. مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ

الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ).

وقال تعالى (لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ. مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ).

فقوله تعالى (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) والتحقيق: أن السجيل: أنه الطين؛ لأنَّ الله قال (لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ

طِينٍ) وخير ما يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ الْقُرْآنُ، إِلَّا أَنَّهُ طِينٌ مَشْوِيٌّ بِالنَّارِ، شَدِيدُ الْحَرَارَةِ، لَا يَأْتِي عَلَى شَيْءٍ إِلَّا خَرَقَهُ.

(مَنصُودٍ) أي: مجعول بعضه فوق بعض.

(مسومة) أي: مجعولاً فيها علامة تميزها، قيل: على كل حجر اسم من يرمي به ، وقيل : عليها سيما لا تشاكل حجارة الأرض .

● وصف الله تعالى الحجارة التي رمى بها قوم لوط بثلاثة صفات:

الصفة الأولى: كونها من سجيل.

الصفة الثانية: منضود.

لصفة الثالثة: مسومة.

(وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ) اختلف العلماء في هذه الآية على قولين:

القول الأول: أي وما هذه القرى المهلكة بعيدة عن قومك (كفار قريش)، فإنهم يمرون عليها في أسفارهم أفلا يعتبرون.

كما قال تعالى (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)

وقال تعالى (وَإِنَّهَا لَسَبِيلٌ مَقِيمٌ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ) .

وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ فَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: وَمَا هِيَ رَاجِعٌ إِلَى دِيَارِ قَوْمِ لُوطٍ الْمَفْهُومَةِ مِنَ الْمَقَامِ.

والثاني: الضمير يعود على الحجارة .

أي : وَمَا تِلْكَ الْحِجَارَةُ الَّتِي أَمْطَرْتُ عَلَى قَوْمٍ لُوطٍ بِبَعِيدٍ مِنَ الظَّالِمِينَ لِلْفَاعِلِينَ مِثْلَ فِعْلِهِمْ، فَهُوَ تَهْدِيدٌ لِمُشْرِكِي الْعَرَبِ كَالَّذِي قَبْلَهُ.

وَمِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا) . فَإِنَّ قَوْلَهُ (وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا) ظَاهِرٌ جَدًّا فِي ذَلِكَ، وَالْآيَاتُ بِنَحْوِ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

الفوائد :

- ١- من آيات الله هلاك المكذبين .
- ٢- تحريم هذه الجريمة القبيحة الخسيسة .
- ٣- سنة الله في قلة من يؤمن مع الأنبياء .
- ٤- جرأة وتمرد هؤلاء على الفساد ، حيث جاؤوا مسرعين للفساد .
- ٥- جرت سنة الله أنه إذا أراد إهلاك قوم نبي عصوه أن يأمره بالخروج والانفصال عنهم، لينجيه ويستأصلهم.
- ٦- أن المرأة الكافرة قد تكون تحت الرجل المؤمن .
- ٧- تهديد لكل ظالم من عقوبة الله .
- ٨- الإشارة إلى أن الإنسان إذا رأى الشيء بعينه كان ذلك أقوى يقيناً مما إذا أخبر به .

الأحد: ١٨ رمضان ١٤٣٩هـ